[THE ARABIC LANGUAGE AND THE CHALLENGE OF RESEARCH AND EDUCATIONAL CREATIVITY IN THE KNOWLEDGE SOCIETY]

اللغة العربية ورهان الإبداع البحثيّ والتعليمي في مجتمع المعرفة

Rahmah Ahmad H. Osman
rahmahao@iium.edu.my
Department of Arabic Language & Literature
Abdul Hamid Abu Sulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences
International Islamic University Malaysia, Gombak
53100 Kuala Lumpur, Malaysia

Adham Hamawiya Ali
adhamawiya@iium.edu.my (Corresponding Author)
Department of Arabic Language & Literature
Abdul Hamid Abu Sulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences
International Islamic University Malaysia, Gombak
53100 Kuala Lumpur, Malaysia

Ahmad Ragheb Mahmoud
ahmedragheb@flinders.com
College of Education, Psychology and Social Work
Level 4, Room 469, Education Building
Bedford Park, South Australia 5042 Australia

Muhammad Zamri Abdul Ghani
zamrghani91i@gmail.com
Namlite Sdn Bhd.
Unit No. S-075, Second Floor, Seasons Square
Jalan Pju 10/3C, Damansara Damai
47830 Petaling, Selangor Darul Ehsan, Malaysia

Abstract

Knowledge is an imperative measure of distinction across nations, as the greater the knowledge of a nation indicates its level of advancement and the development of its society. Research and educational innovations embraced by scientific institutions - especially universities - are the starting point for reaching a knowledge society. Along with the orientation towards a knowledge society at the beginning of the twenty-first century, the Arabic language has witnessed an exceptional demand, and learning it has become a top priority for many motives around the world. Accordingly, the quest towards an "enabled knowledge society" requires the use of a strong language that is capable of being the language of research and education. Hence, it is necessary to improve the Arabic language to be more open and innovative, according to its relationship with the worlds of knowledge. This can be achieved by strengthening educational training and scientific research and developing them after preparing mechanisms and synergizing efforts in order for the Arabic language to overcome the challenge of research and educational creativity in the knowledge society, and this is what this research attempts to explain.

Keywords*: Arabic language, knowledge society, scientific research, educational process, creativity*

ملخص

المعرفة مميّز بين الأمم، فكلما ازداد النّموّ المعرفيّ لأمّة دلّ ذلك على مستوى تطوّرها وتنمية المجتمع فيها، والإبداع البحثيّ والتعليميّ الذي تحتضنه المؤسسات العلمية – ولا سيّما الجامعات – هو المنطلق للوصول إلى مجتمع المعرفة، ومع انطلاقة التوجّه نحو مجتمع المعرفة مطلع القرن الحادي والعشرين عادت اللغة العربية إلى الساحة الدولية بعد انقطاع، فقد شهدت إقبالاً منقطع النّظير، وصار تعلّمها في أرجاء العالم أولويّة قصوى لدوافع كثيرة، وعليه كان السعي إلى "مجتمع معرفيّ ممكّن" يقتضي استخدام لغة قوية قادرة على أن تكون لغة البحث والتعليم، ومن ثم يستوجب تطوير قدرة اللغة العربية على الانفتاح والتجديد وفق علاقتها بعوالم المعرفة، ويتأتّى ذلك بتعزيز التكوين التربويّ والبحث العلميّ وتطويرهما بعد تهيئة الآليات وتآزر الجهود في سبيل أن تتغلب اللغة العربية على رهان الإبداع البحثيّ والتعليميّ في مجتمع المعرفة، وذا ما يحاول بيانه هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: *اللغة العربية، مجتمع المعرفة، البحث العلمي، العملية التعليمية، الإبداع*

Article Received:	*Article Reviewed:*	*Article Published:*
14 August 2022	7 November 2022	22 December 2022

المقدمة

منذ أواخر القرن العشرين شهد المجتمع العالميّ تحوّلاً من رأس المال المادّيّ إلى رأس المال المعرفيّ، وصارت المعرفة مميّزًا بين الأمم، فكلما ازداد النّموّ المعرفيّ لأمّة دلّ ذلك على مستوى تطوّرها وتنمية المجتمع فيها (Abd al-Tawab et al., 2015‘)، وقد رافق هذا التحوّل – أو كان من دواعيه – التطور التّقانيّ الذي يسمح بتخزين كمّيّات ضخمة من البيانات مع ضمان سرعة نقلها وسهولة معالجتها في سبيل توظيفها في خدمة المجتمعات والأمم على اختلافها (Wikipedia, n.d.).

والإبداع البحثيّ والتعليميّ الذي تحتضنه المؤسسات العلمية – ولا سيما الجامعات – هو المنطلق للوصول إلى مجتمع المعرفة، ولازمه إعداد تلك المؤسسات مبتكرين يمتلكون المهارات الأساس للقرن الحادي والعشرين؛ أي التفكير النقديّ، والتواصل، والإبداع، والتعاون (Trilling & Fadel, 2009)، ويعون معنى مجتمع المعرفة.

وليس سياق اللّغة العربيّة ببعيد من هذا المجتمع، فإنه مع مطلع القرن الحادي والعشرين – أي مع انطلاقة التوجّه نحو مجتمع المعرفة – عادت اللغة العربية إلى الساحة الدولية بعد انقطاع، وشهدت إقبالاً منقطع النّظير، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لعام واحد وألفين؛ إذ زاد نموّها بنسبة مئة وخمسين بالمئة، مقارنة بغيرها من اللّغات، وصار تعلّمها في أرجاء العالم أولويّة قصوى لدوافع كثيرة منها الدينيّ، والسياسيّ، والاقتصاديّ، والسياحيّ (H. Osman et el., 2022)، وهناك دافع بحثيّ هو استعادة العربية مكانتها لغة للبحث العلميّ.

وعليه كان سعيُنا – نحن المسلمين – إلى "مجتمع معرفيّ ممكّن" يقتضي استخدام لغة قوية قادرة على أن تكون لغة البحث والتعليم، وذلك من خلال انفتاحها على التجديد وفق علاقتها بعوالم المعرفة، وذلك لن يتأتّى بغير تعزيز التكوين التربويّ ومنتجات البحث العلميّ وتطويرها، فلا بدّ من تهيئة الآليات وتآزر الجهود في سبيل أن تتغلب اللغة العربية على رهان الإبداع البحثيّ والتعليميّ في مجتمع المعرفة.

التوجّه نحو بناء مجتمع المعرفة

يعرّف مجتمع المعرفة بأنه "ذلك المجتمع الذي يقوم أساسًا على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي؛ الاقتصاد، والمجتمع المدني، والسياسة، والحياة الخاصة، وصولاً إلى ترقية الحياة الإنسانية باطراد، أي إقامة التنمية الإنسانية" (United Nations Development Programme, 2003, p. 39-40).

ويشير "تقرير المعرفة العربي للعام 2009" إلى أن المعرفة مزج بين ثقافات عالية وخبرة إنسانية متطورة؛ يؤدي إلى انقلاب في كثافة المعرفة ووفرتها، وفي توسيع الأدوار الاقتصادية والاجتماعية والترفيهية الجديدة التي توفرها مجالات الإنتاج المتنوعة وعوالمها الصانعة عالم المعرفة، وليس ذلك فحسب، وإنما ترتبط المعرفة ارتباطًا وثيقًا بقضية التنمية المستدامة؛ إذ تتلاحم المعرفة مع أهداف التنمية المستدامة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتقانية وغيرها من الأبعاد التي حددتها الأمم المتحدة في سبعة عشر هدفًا مثّلت خطة عمل للتنمية المستدامة عبر العالم حتى عام 2030.

ويضح ما سبق أكثر من خلال المقومات التي يلزم توفّرها من أجل بناء مجتمع المعرفة، وتتوزّع هذه المقومات في بعدين؛ أحدهما المحددات التي تمثل القاعدة الأساس لولوج مجتمع المعرفة، والآخر الخصائص التي ينفرد بها مجتمع المعرفة (Ahrashaw, 2007).

أما تلك المحددات فتتلخص في:

أ. النجاعة في التربية والتكوين بتحسين مستوى التعليم وتعميمه على الجميع.
ب. الكفاية في البحث العلمي بتشجيع الإبداع والابتكار.
ج. العقلانية في التخطيط والإدارة باعتماد حوكمة رشيدة.
د. الحرية في الرأي والتعبير بضمان ثقافة التجديد والاختلاف.

وأما الخصائص فكثيرة، وفي مقدمتها:

أ. ازدياد الاعتماد على المعرفة ومكوناتها المتنوعة في خطط التنمية، بعد التحول من الاقتصاد المبني على المادة إلى الاقتصاد المبني على المعرفة.
ب. تعاظم دور المعرفة في النشاطات الإنتاجية والخدمية، فقد أصبحت المعرفة سلعة تتهتم بها كبريات الشركات العالمية.
ج. مكانة المعرفة الجيدة في كمية التبادلات "التجارية" الدولية.
د. عولمة المعرفة وترميزها رقميًّا وتسليعها لتسويقها عبر شركات معرفة جديدة (عبر الشابكة).

وتشير المقومات السابقة إلى أن التّوجّه نحو بناء مجتمع المعرفة، والاستفادة من معطياته؛ يعتمدان على دورة المعرفة وكفاءة أدائها وزيادة عطائها، وهي تمرّ بثلاث مراحل رئيسة هي (Abd al-Tawab et al., 2015‘):

أ. المرحلة الأولى: توفّر رأس مال بشري يمثل طليعة لمجتمع المعرفة وبنية أساسًا للنهضة التنموية على مبدأ ((إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم)) [الرعد: 11].

ب. المرحلة الثانية: تكثيف الإصلاح واستعمال التقانة المتاحة في كل المجالات، مما يهيئ البيئة والمناخ لنشوء مجتمع المعرفة ونموّه، وهذا يكون بإعداد الإنسان القادر على استعمال المعلومة في كل مجالات الحياة على ثلاثة مستويات:

a. مستوى تربوي: يتعلم فيه الإنسان كيفية برمجة المعلومات الجديدة في إطار المعرفة، فيزداد وعيه اتساعًا وإدراكه قوة.
b. مستوى بحثي: يمكن الإنسان من سبر أغوار الأشياء، واستكشاف القوانين، واستكناه الأحداث، واستعمال المفاهيم.
c. مستوى العمل التجريبي: يحول فيه الإنسان المعلومة إلى معرفة، والمعرفة إلى ابتكار.

ج. المرحلة الثالثة: تكامل مجتمع المعرفة وتحقيق النهضة التنموية الشاملة المستدامة، وذلك بزيادة أعداد المبتكرين والمبدعين والمفكرين، وتطوير منظومة التعليم، ودعم البحث العلمي والتطوير، وتوظيف التقانة.

ويلحظ أن الإنسان والإبداع هما القاسم المشترك بين المراحل السابقة، فلا تستغني عنهما أي مرحلة منها، في حين تنطوي المرحلة الثانية بخاصة على عنصرين مهمين جدًّا في سياق هذا البحث؛ هما البحث والتعليم، فبالأول يعمل الإنسان من خلال الإبداع على توليد المعرفة، وبالثاني يعمل الإنسان من خلال الإبداع كذلك على نشر المعرفة، ومن بعد توليدها ونشرها يعمل الإنسان من خلال الإبداع أيضًا على توظيف المعرفة، وذلك بتقديم منتجات وخدمات جديدة أو مطوّرة تسهم في مجالات التنمية، وتوليد الثروة، وإيجاد الوظائف، وتطوير حياة الإنسان نفسه.

إذن؛ البحث والتعليم وسيلتان إجرائيتان يوظّفهما مبتكرون يمتلكون المهارات الأساس للقرن الحادي والعشرين، في سبيل الوصول إلى مجتمع المعرفة، ويعون أنّه مجموعة من ذوي الاهتمامات المتقاربة الذين يحاولون الاستفادة من تجميع معرفتهم سويًّا بشأن المجالات التي يهتمّون بها، فيضيفون مزيدًا إلى تلك المعرفة التي تكوّن الناتج العقليّ المجدي لعمليات الإدراك والتعلّم والتفكير (Wikipedia, n.d.)، ومن ثمّ كانوا المورد الأمثل الواجب تنميته والاعتناء به؛ ليسهموا في اكتساب المعرفة وتوليدها ونشرها وتوظيفها، ومن ثمّ توطينها في المجتمع، فتكون له وسيلة وغاية في آن معًا.

اللغة العربية في مجتمع المعرفة

في ثنايا الحديث عن مجتمع المعرفة تبرز أهمية "تنوّع المعرفة"؛ إذ يؤدّي إلى تجاوز التخصّصات الضّيّقة إلى الانفتاح المعرفيّ وما يرافقه من انفتاح أخلاقيّ، وإن كان هذا المهمّ مفهومًا حديثًا نسبيًّا – من حيث التنظير لمجتمع المعرفة، وعدّه مرافقًا التطور التّقانيّ أو من دواعيه كما سلف – فإنّه سنّة لله سبحانه في خلقه؛ أقرّها في محكم تنزيله، فقال: ((يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)) [الحجرات: 13]، فالتعارف المراد إلهيًّا هو عينه تنوّع المعرفة الذي يدّعى أنه مفهوم حديث لازم للوصول إلى مجتمع المعرفة.

ومع التّعارف سنّة إلهيّة أخرى تضمّنتها الآية السابقة، هي اختلاف اللّغات، فلغة كلّ شعب وسيلة نقل ثقافته وإسهامه في الحضارة الإنسانية؛ إذ تبرز معارفه ومشاعره وسلوكاته وعلاقاته التي تمثّل بمجملها نظامه الاجتماعيّ الذي يعبّر عن حضوره في

مسيرة التاريخ الإنساني، فيقوى هذا الحضور بقوة اللغة، ويضعف بضعفها، ويزول بزوالها (‘Abd al-‘Abbas, 2021)، ويمكن تلخيص هذا كلّه بقولنا إنّ اللغة تصوغ هويّة الشعب؛ لأنها تقدّم رؤيته الخاصة للعالم.

ولكن؛ ما ذا لو كانت هناك لغة جامعة توحّد بين الشّعوب على اختلاف ثقافاتها ولغاتها؟ ما حال تعارفها أو تنوّع معرفتها؟

تأتي اللغة العربية إجابة عمّا سبق، فقد رافقت رسالة الإسلام إلى شعوب الأرض قاطبة، مما دفع معتنقيه إلى تعلّمها على مرّ العصور، وتسرّبت إلى لغاتهم كلامًا وكتابة، وكان الإقبال على اعتناق الإسلام يحمل في طيّاته إقبالاً على تعلّم اللغة العربيّة، حتى إنّ غير المسلمين اتّخذوا من العربيّة لسانًا لهم من منطلق أنها لغة العلوم والأدب (Siddiq, 2009)، فاللغة العربية نداء الوحي الإلهيّ إلى رسولنا الكريم، وبها كتب المسلمون عربًا وعجمًا تاريخهم وأمجادهم ومؤلّفاتهم في صنوف العلوم، فكان إبداعهم في علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه وأصوله، والكلام وأصول الدين، وعلوم اللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا والطّبّ، وعلوم الأوائل من منطق وفلسفة ورياضيات وكيمياء وفلك... إلخ؛ أي إنّ العربية كانت لغة علمية بامتياز، مستفيدة من التنوّع المعرفيّ لدى من عرفها، ولم تكن عائقًا أمام الإبداع بحثًا وتعليمًا، ولكن مع الهيمنة الاستعمارية للدّول الغربية على دول العالم – ولا سيما العالم الإسلاميّ – تراجعت الهويّة الإسلامية، وتقلّصت البقعة الجغرافية التي كانت عربية إلى حدود العالم العربيّ اليوم؛ بعد أن انحسرت اللغة العربية عن مناطق واسعة كالهند وآسيا الوسطى والأندلس وبعض مناطق وسط أفريقيا وغربها، وفي هذا أدلّ دليل على ما للّغة العربية من أهميّة في الحضارة العربية الإسلامية (Faruqi, 2006).

ومع ازداد الإقبال على تعلّم اللغة العربية مع انطلاقة التوجّه نحو مجتمع المعرفة مطلع القرن العشرين؛ برز رهانان أمام اللغة العربية يتعلقان بالمستويين التربوي والبحثي من مستويات المرحلة الثانية من مراحل دورة المعرفة التي سلف ذكرها، أما الرهان الأول فيتعلق بالإبداع في البحث العلمي باللغة العربية؛ لأنه وسيلة توليد المعرفة، وأما الرهان الثاني فيتعلق بالإبداع في تعليم اللغة العربية نفسها، وفي تعليم العلوم الأخرى بها؛ لأنه وسيلة نشر المعرفة.

ولكن قبل التفصيل في كيفية التغلب على هذين الرهانين؛ يحسن إيراد قول العلاّمة محمود شاكر: "العقل الذي لا يتصوّر أن الحياة البشرية قادرة على صنع الحضارات بلا استناد إلى طريقة العيش الغربية، واعتناق مبادئ الحضارة الغربية؛ عقل قد أسقط من حسابه أن الحضارات قامت وبادت من قبل أن تكون الحضارة الغربية وأصولها جميعًا على ظهر الأرض، وأن هذه الحضارة إذا بادت واستؤصلت فالإنسان – أيًّا كان بعد ذلك – قادر على أن يبني حضارة جديدة تناقض هذه الحضارة الغربية في طريقة العيش وفي المبادئ التي يدعيها" (Shakir, 2005).

فبهدي من هذا القول، وبتخصيصه أكثر؛ نقول إن العقل الذي لا يتصوّر اللغة العربية اليوم قادرة على أن تكون لغة علمية كما اللغة الإنجليزية؛ يجهل أن اللغة العربية كانت لغة علمية قبل أن تكون إنجليزيةُ اليوم لغةً، وكذلك يجهل أن المجتمعات المسلمة كانت مجتمعات معرفة – بشروط العصور السالفة وضوابطها – قبل أن تعرف المجتمعات الغربية المعرفة نفسها؛ إذ كان يعمّها ظلام الجهل، ومن حولها جاراتها المسلمة ينوّرها العلم، وليس مستحيلاً – وربّما هو من أقرب ما يكون – أن تتغلب اللغة العربية على رهان الإبداع البحثيّ والتعليمي، وتعود إلى سالف مجدها، ولكن لا بدّ لذلك من مقدمات وأسس.

إنّ سعينا – نحن المسلمين – إلى "مجتمع معرفيّ ممكّن" يقتضي استخدام لغة قوية قادرة على أن تكون لغة التعليم والبحث والابتكار، ولنا خياران؛ أحدهما اللغة الإنجليزية لأنها لغة قوية لها نفوذها العالميّ اليوم، والآخر اللغةّ العربية لأنها لغة إسلامنا أولاً، ولغة عريقة علميًّا ثانيًا، وفي كليهما تحديات تواجه قدرتنا على تحقيق التمكين المعرفي، ففي استخدام اللغة الإنجليزية نكون دومًا خارج دائرة التمكين المعرفيّ؛ لأن السلطة اللغوية مهيمنة على الإنتاج المعرفيّ، ومن ثمّ سنبقى ضمن الدّول المستهلكة الإنتاج المعرفيّ

والمتلقّية إيّاه لا المنتجة، أمّا خيار استخدام اللغة العربية فيستوجب تطوير قدرتها على الانفتاح والتجديد وفق علاقتها بعوالم المعرفة، وذلك يستلزم تعزيز التكوين التربويّ والبحث العلميّ وتطويرهما.

رهان الإبداع البحثي باللغة العربية

للبحث العلمي مكانة مركزية في عمليات إقامة مجتمعات المعرفة، فهو الأداة الرئيسة للبحث في المعارف وتطويرها وتطويعها للتعامل مع القضايا التنموية المختلفة، وهو العامل الأساس في تطوير الإبداعات في جميع المجالات، وبذا يكون البحث العلمي ركيزة أساسًا في تقدّم الدول ومحرّكًا لمؤسساتها في سبيل الازدهار والرفاهية (al-Sayyid, 2018).

وإنّ التركيز على نشاطات البحث العلميّ والتطوير التقاني والابتكار وعلاقتها بالتنمية الشاملة المستدامة؛ حاجة علميّة تقتضيها مفاهيم العصر ومتطلّباته؛ هذا العصر القائم على المعرفة واقتصادها؛ إذ تنشأ علاقة عضوية بين عمليّة إنتاج المعرفة واستثمارها من جهة، وبين النموّ الاقتصاديّ من جهة أخرى، وتحتلّ تقانة المعلومات في هذا الإطار موقعًا محوريًّا ورئيسًا، فالمجتمع المعرفيّ هو المجتمع الذي يولّد المعرفة، وينشرها، ويستثمرها؛ من أجل ازدهار الأوطان ورفاهيّة مواطنيها (al-Faysal, 2018).

ولا يفتقر الباحثون المسلمون اليومَ إلى القدرة على الإبداع في مجالاتهم البحثيّة المتنوعة، أو إلى البنية التّحتيّة التي تلزمهم في ذلك، وقد أبدى كثيرون منهم قدرات ومهارات أنتجت كثيرًا من المخترعات والاكتشافات، ولكنّ إنتاجها كان بلغات غير العربية، بل إن من العرب أنفسهم من يقدّمون أبحاثهم باللغة الإنجليزية مثلاً، وقلّما يعبؤون بتقديمها باللغة العربية، على الرغم من أن هذه الأخيرة لغتهم الأمّ، وهنا ربّما يسأل سائل: وهل من ضير في ذلك؟

وجوابه أن لا ضير ظاهرًا، ولكنّه تستبطنه الهيمنة المعرفية لمجتمعات من دون مجتمعات أخرى، فيجعلها مجتمعات أصيلة معرفيًّا في مقابل مجتمعات تابعة معرفيًّا، وتزداد التبعية المعرفية كلّما تحرّى المتّبِعُ الالتحاقَ بالأصيل نظرًا إلى "أنّه أفضل"، لا إلى أنّه خصم غيّر أدواته، فانتقل من الاستعمار المادّيّ إلى الاستعمار المعرفيّ.

وبَلْهَ التحدي الوجودي السابق؛ تواجه اللغة العربية تحديين في سبيل الإبداع البحثي (Bani Thiyab, 2014)؛ يلخصان القدرة الإجرائية المحدودة "حاليًّا" للغة العربية، ويتمثل أولهما في حاجتها إلى التعبير عن كثير من الموضوعات التي لم تألفها القريحة العربية نتيجة تطوّر العلوم وتقدّمها، فهناك حاجة ملحّة لاشتقاق مصطلحات أو تعريبها تقابل المصطلحات الأجنبية المتكاثرة، وهذا يستلزم من اللغة العربية تطوير أساليبها التعبيرية من جهة، ووضع المصطلح العلمي من جهة أخرى، ويكون ذلك بشيوعها وتواترها في كتابات العلماء وتلامذتهم.

وأما التحدي الثاني فهو ما يسمى "تعمير المحلات الشاغرة" (al-Tarabulsi, 1984)، فليست حياة اللغة العربية ومواكبتها العصر في أن تكون نسخة من لغة أخرى لا تختلف معها إلا في الأشكال، ولكن من باب الفائدة – في إطار التطبيق في نطاق اللغة العربية – العمل على تعمير محلات الاستعمال الشاغرة في أوضاع اللغة العربية في ذاتها بالنسبة إلى استعمالات غيرها من اللغات، وذلك لاستكمال النقص الذي أصاب اللغة العربية في كلماتها العلمية نتيجة إحلال اللغات الأجنبية "الاستعمارية" محل اللغة العربية، وبخاصة في الجامعات.

والحقيقة أن اجتياز هذين التحديين ممكن من خلال تآزر الجهود الصادقة بين الدول العربية أولاً والمسلمة ثانيًا من أجل ما يأتي (مقتبس بتصرف من Wa'li, 2019; Qasim, 2013):

أ. أن تعمل النخب الثقافية على أن الانتماء إلى اللغة العربية وثقافتها، وإدراك حجم الإشكال اللغوي وأهميته الإستراتيجية لدى الأمم الراغبة في التنمية والتقدم، وهو ما يحثها على الاهتمام بمستقبل اللغة العربية في تعلّمها وتعليمها وتطويرها.

ب. العناية بالمسألة اللغوية التي تعدّها الأمم المتحضرة قضية مصيرية إستراتيجية في مسار الاستقلال والتطور والتنمية، وهذا يستدعي من الدول المسلمة ألا تكون سياساتها اللغوية ومتعلقاتها – تعليميًّا وبحثيًّا وثقافيًّا – عشوائية أو متناقضة أو منفردة، وإنما يشترك فيها الخبراء والمتخصصون سويًّا لمعالجة المسألة اللغوية من خلال المبادرات والقرارات والمواثيق التي تكرس العربية لغةً موحدةً في التواصل والتعليم والبحث.

ج. تعزيز حضور اللغة العربية الوظيفية في مختلف المجالات الحياتية والقطاعات الحيوية والفضاءات العامة والخاصة، ففيه توسعة للأرضية التي تعمل فيها العربية وتستعمل بما فيها البحث العلمي، فإنه خادم تلك المجالات والقطاعات والفضاءات التي هي غاية نتائجه وتوصياته.

د. إقرار سياسة عامة لتطوير اللغة العربية وتنميتها وحمايتها من أن تنافسها اللغات العالمية كالإنجليزية والفرنسية، على أن تضمن تلك السياسة حقوق اللغات الوطنية للشعوب المسلمة غير العربية في الوجود والاستعمال.

هـ. تنظيم مظاهر الازدواج والتعدد اللغويين بين اللغة العربية الفصيحة، والدوارج، واللغات الوطنية والأجنبية، وذلك على غرار بلدان العالم التي تحترم لغاتها وتقدر حضاراتها.

و. تصميم مناهج تعليم اللغة العربية التي تسهم في تنمية الملكة اللغوية وتمثل حيوية الإعراب وكفايته وعفويته وتيسيره، فلا تقتصر تلك المناهج على الجوانب الصورية للقواعد النحوية والصرفية، ولا تغفل النفاذ إلى مضامين النصوص العميقة والكشف عن بناها الكلية، ولا تهمل الجوانب الدلالية والوظيفية والمهارية للغة العربية.

ز. إنشاء مراكز بحثية تنتج البحث المعرفي باللغة العربية، وقوامها التشبيك بين الباحثين والجامعات ومؤسسات الأعمال؛ لمركزية كل منها في مراحل بناء مجتمع المعرفة توليدًا ونشرًا وتوظيفًا، مع الاهتمام ببناء المقدرة الذاتية على البحث وتوطين العلم.

ح. التثاقف الحضاري بين المجتمعات المسلمة النامية لتفيد من معارف المجتمعات المتقدمة، ولا سيما علوم التقانة الحديثة، وهنا يأتي دور الترجمة التكوينية لا الاستهلاكية؛ التكوينية التي تحرص على النوع في اختيار الكتب المترجمة وتسلسل الترجمات، لا الاستهلاكية التي تراكم التراجم كميًّا من غير ما طائل.

ط. إعداد معلمي اللغة العربية وآدابها مع التجديد المستمر لبرامج تعليم اللغة العربية، والاهتمام بنشر التعليم الراقي المستمرّ مدى الحياة، المتاح للجميع.

ي. نشر المحتوى الرقمي العربي وتنميته في الوسائط الشابكية المتنوعة، فإنه من أهم المؤشرات على قدرة اللغة العربية على التنامي والانفتاح وفق معطيات مجتمعات المعرفة، وعلى مواكبة المتغيرات المتسارعة لعالم التقانة، وهو ما يؤدي إلى تحفيز الإبداع البحثي وريادة الأعمال باللغة العربية.

ك. إحياء العلوم التي كانت النواة الأولى لبزوغ علوم العصر الجديدة، وذلك عبر تكثيف الجهود، وتربية الناشئة على توظيف اللغة العربية في التواصل الكلامي والكتابي والمطالعة.

إن الإجراءات السابقة المطلوبة لتحقيق الإبداع البحثي باللغة العربية؛ تعكس في ثناياها تحديات جزئية هي عناوين لقضايا محورية في مكانة اللغة العربية وكينونتها في ذاتها، نعني بذلك المسألة اللغوية، والازدواج اللغوي، والتعدد اللغوي، والملكة اللغوية، والتشبيك المعرفي، والتثاقف الحضاري، والترجمة والتعريب، والتعليم الراقي، والمحتوى الرقمي، وإحياء العلوم، وكلها ينبغي للأفراد

والمؤسسات معالجتها في ضوء التطور التقاني الحادث؛ لتكون نتائج تلك المعالجة أنجع وأدقّ وأشمل، فإنها تقوي مجتمع المعرفة الذي تكون فيه، ومن ثم تسهم الإسهام الأمثل في الإبداع في توليد المعرفة تمهيدًا للإبداع في توظيفها.

رهان الإبداع التعليمي باللغة العربية

وضعت خطة التنمية المستدامة 2030 التعليم هدفًا رابعًا من أصل أهدافها السبعة عشر، على أساس أن تحقيق التعليم ذي الجودة العالية أحد أعمدة التنمية المستدامة، وأنه يسهم في تحقيق النجاح في كثير من الأهداف الأخرى، فالتعليم يساعد في القضاء على الفقر، وزيادة المساواة، وزيادة معدلات الإبداع، وتحسين جودة الصحة، وتحقيق الرفاهية الاجتماعية، ومن ثم كان التعليم ركنًا أساسًا في تحقيق مجتمع المعرفة الذي ينبغي للتعليم فيه أن يكون مقرونًا بتناول المعلومات بالتحليل والنقد، وإدراك مدلولاتها، والتدبر في معانيها، وصولاً إلى الإبداع والابتكار، وأن يكون كذلك حريصًا على اللغة القومية، ويعمل على تدعيم وجودها أداة للتعلم والتواصل (United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2019).

ويكشف تاريخ اللغة العربية عن مكانتها في التعلم والتواصل؛ ليس بين العرب أنفسهم فقط، وإنما بين المسلمين قاطبة، وبين غيرهم أحيانًا، إلى أن صار النتاج العلمي والأدبي المكتوب بالعربية يقرأ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في حدود العالم القديم، وذلك إثر التوحيد اللغوي الذي جمع بين كلّ الاختلافات العرقية والدينية والجغرافية والثقافية، يقول رينان (Renan, 1863, 341): "إن انتشار اللغة العربية ليُعدُّ من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يُعدُّ من أصعب الأمور التي استعصى حلُّها، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسة غاية السلاسة، غنية أيّ غنى... وإن اللغة العربية – ولا جدال – قد عمّت أجزاء كبرى من العالم".

وقد كانت هذه المكانة التي تبوأتها اللغة العربية إثر تعالُقها بالإسلام وصيروتها لغته المقدسة؛ كانت هدفًا للمخططات الاستعمارية التي اجتاحت البلدان العربية الإسلامية، وسعت إلى طمس الهويات الثقافية التي تميز تلك البلدان، وذلك من خلال نشر لغاتها (لغات الدول المُستعمِرة) فيها (في الدول المُستعمَرة)؛ كلّ بحسبه، ويبرز في هذا مثلاً المسعى البريطانيّ إلى نشر اللغة الإنكليزية وتعميمها في دول الكومنولث Commonwealth، وكذا المسعى الفرنسيّ إلى نشر اللغة الفرنسية وتعميمها في الدول الفرانكوفونية Francophonie، أو اتفاق المسعيين مثلاً على تغيير طبيعة لغات الدول المستعمرة بداعي جعلها أكثر واقعية، ومن ثم كانت دعوات إلى تعميم استخدام الحروف اللاتينية، أو استخدام اللهجات العامية لغات منفردة بدلاً من لغة واحدة جامعة (Mushrif, 2019).

وهكذا ضعفت الهوية الإسلامية، وتقلّصت البقعة الجغرافية التي كانت عربية إلى حدود العالم العربي اليوم، ومع مطلع القرن الحادي والعشرين؛ عادت اللغة العربية إلى الساحة الدولية مجددًا، وصار تعلّمها في أرجاء العالم أولية قصوى لدوافع كثيرة يجملها انفتاح العالم على الثقافة العربية (H. Osman et el., 2022).

وعلى الرغم من ذلك؛ يبدو أن الميدان التربوي يعاني من تحديات عدة في تعليم اللغة العربية نفسها، وفي تعليم العلوم الأخرى بها، ومن هذه التحديات ضعفُ المتعلمين في اللغة العربية بفروعها المختلفة؛ القراءة والكتابة والتعبير والاستيعاب والتواصل... إلخ، إلى درجة أصبحت معها هذه المشكلة ظاهرة مقلقة من ظواهر التردي الثقافي والعلمي لدى أمتنا العربية الإسلامية، ثم إن كثيرًا من المتحدثين بالعربية اليوم (عربًا وعجمًا) ينظرون إليها نظرة قاصرة، فيؤخرونها من بين اهتماماتهم التعلمية، ويزداد الخطر على اللغة العربية كلما تقدّم المتعلم في المراحل التعليمية؛ إذ تحل اللغات الأجنبية محلّ اللغة العربية في التعليم الجامعي، فتنقطع الصلة بين المتعلم

وبينها، ويصبح تابعًا ثقافيًّا لغيره (al-Ghatami, 2015، بتصرّف نقلاً من United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2019).

ولاجتياز هذه التحديات ينبغي التنبه إلى أن الطريقة التقليدية – الإلقائية التلقينية التي قوامها المعلم – في تعليم اللغة العربية وتعلّمها؛ لم تعد بصالحة لهذا العصر التقاني الذي دفع فيه ظهور الحاسوب والشابكة المؤسّسات التعليمية إلى دمج التقانة في التعليم، وتقوية قدرات تلك المؤسسات لتقديم تعليم ذي مستوًى عال، وتهيئة أبعاد جديدة للعملية التعليمية التعلمية، ومن ثم دفع ظهورهما إلى تغيير جذريّ في أساليب التعلّم وإستراتيجيّاته بعامة، وللغة العربية بخاصة؛ إذ صار التعلّم الإلكتروني بوسائله وموادّه ميزة هذا العصر، ولا بدّ للإبداع التعليمي باللغة العربية من أن يستفيد من هذه الميزة التي تبدو أهميتها من خلال (Ahmad, 2006):

أ. التعليم التجريبيّ: إذ لا يتعلّم المتعلم اللغة العربية بالطريقة النّظرية فقط، وإنما يجرّب ويطبّق، فيتكوّن لديه الإبداع في أثناء مروره بخطوات التعلّم، واكتشافه الجديد في كلّ خطوة، ممّا يؤدّي بهذه التجربة إلى أن ترسخ في الذّهن.

ب. الدّافعيّة: ففي التعلّم الإلكترونيّ تقدّم واضح؛ لذا يفضّله المتعلمون على التعلّم من الموادّ الورقية، وفيه تزداد الدافعيّة، وبخاصة إذا أضيفت إليه نشاطات تعين على استقلال المتعلمين بأنفسهم.

ج. الفرديّة: يمكن للمتعلم الخجول أو الانعزاليّ أن يستفيد من التعليم الإلكترونيّ بمفرده، فلا يكون للتأثير السلبيّ في الصفّ انعكاس على تعلّمه.

د. لا مصدر واحدًا فقط للمعلومة: يمكن للمتعلم أن يتنقّل في المصادر الإلكترونية باحثًا عما يفيده.

هـ. توظيف السّياق الثقافيّ: في هذا العالم الّذي نستخدم فيه الحواسيب يمكن للمتعلم أن يدخل إلى مواقع اللغة المدروسة، ويطّلع على ثقافتها، ويألفها، ويمكن أن يتواصل مع مختلف العلماء والزّملاء في أرجاء العالم، فاكتساب اللّغة من جوانب التطبّع الثقافيّ، والاكتساب يعتمد على مدى تكيّف المتعلّم مع ثقافة اللغة الهدف.

وانطلاقًا من مراعاة المهارات الأساس في القرن الحادي والعشرين؛ يمكن للإبداع التعليمي باللغة العربية أن يتّبع جملة من الوسائل التعليمية التقانية (بتصرّف al-'Uliyyan, 2019)، هي:

أ. المناقشة العلمية المعززة بالتقانة: أسلوب الوصول إلى نتائج معينة تكتسب رضا المناقشين، وعمادها المشاركة المنظمة للمتعلمين، ولا دور للمعلم إلا الإشراف والتوجيه، وتتوسّل فيها التقانة الحديثة من البرامج الإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي؛ لإثراء حلقات النقاش، وتعزيز المخرجات.

ب. مواقع التواصل الاجتماعي: لاقت مواقع من مثل فيسبوك وتويتر رواجًا كبيرًا في تحديث أساليب التعليم من خلال جعله أسهل وأيسر على المتعلمين.

ج. العروض التوضيحية: من وسائل التعليم الاتصالي الحديثة، وقوامها البيان العملي بهدف تنمية اتجاه معين عند المتعلمين، وتتوسّل الشروحات التقانية، والفيديوات التعليمية، وبرامج العرض، والشاشات العلمية الحديثة، وبرنامج Power Point، وغيرها.

د. المواقع الشابكية: يومًا بيوم تزداد المواقع التي تدعم تعلّم العربية وتعليمها على الشابكة، من مثل معجم الدوحة التاريخي، والمكتبة العربية، والباحث العربي، والمكتبة الشاملة الحديثة، وغيرها كثير، وكلها مما يوفر مادة رقمية ثرّة يمكن للمتخصصين في اللغة العربية وآدابها وغيرهم الاستفادة منها، وتوظيفها جنبًا إلى جنب مع قراءاتهم التراثية.

هـ. التطبيقات الإلكترونية: وعاء للمعلومات المدخلة، وتعيدها للإنسان بأسرع ما يمكن، مع غياب عنصر النسيان الذي يتعرّض له، وضمان الجدّة والصّحّة إذا ما أدخلت المعلومات بطريقة مضمونة وآمنة، وتتيح هذه التطبيقات للمتعلم فرصتي التطبيق والممارسة اللّتين تساعدانه على الاكتساب اللّغويّ السّليم، وذلك من خلال بعض المداخل وطرق العرض المؤثّرة لإثارة اهتمامه وشحن دافعيّته.

و. النمذجة التعليمية: أسلوب مبتكر في تعليم اللغة العربية بعامة، ويمكن وصفه بأنه المفضل بالنسبة إلى متعلمي العربية الناطقين بغيرها بخاصة، ويهدف إلى تسهيل عملية التعلم من خلال الخرائط الذهنية والرسوم التوضيحية infographic؛ لأنها تعزز المعالجة المعرفية من خلال تنشيط الخيال، واستثارة الذاكرة، وتحفيز الانتباه.

ومهما يكن اتباع هذه الوسائل التقانية التعليمية وغيرها؛ فإنه ينبغي لنا التنبّه إلى أن التقانة الحديثة سلاح ذو حدّين، وأن كيفية استعمالها تُبرز إيجابياتها في التحكم بها، والتأكد من مصادر المعلومات المعروضة، ومدى صحتها وسلامتها، أما سلبياتها فتكون حين إغفال الضوابط والأخلاق التي تجعل من التقانة الحديثة مصدرًا للمعلومات وتحسين المعارف وتطوير التعليم والسير به نحو الجودة (al-'Ulyyan, 2019)، وبذا تكون نتائج الإبداع التعليمي باللغة العربية – كما كانت نتائج الإبداع البحثي بها – أنجع وأدقّ وأشمل، وتقوي مجتمع المعرفة الذي تكون فيه، وتسهم الإسهام الأمثل في الإبداع في نشر المعرفة تمهيدًا للإبداع في توظيفها.

الخاتمة

صفوة القول من العرض السابق أن اللغة العربية ركيزة الأمة العربية الإسلامية، فلا إنتاج ولا تطوّر لحضارة لا تنتج بلغتها، ثم إن تعزيز ثقافة الانفتاح على اللغات لن يقصي اللغة العربية وريادتها في الإبداع البحثي والتعليمي، وتحقيق الغايات الكبرى، والمحافظة على الهويّة وتاريخ الحضارة، ولا سيما أننا في حاجة إلى مسايرة التطور التقانيّ عبر مناهج تربوية ترقى إلى المستوى المطلوب، وتخلق انسجامًا وتكاملاً ثقافيًّا مع اللغات الحية، وتخدم التطور العلميّ الكونيّ للحضارة الإنسانية جمعاء.

فاللغة العربية واحدة من أهمّ اللغات البشرية الغنية بالعمق اللفظي، والاتساع المعنوي، ومواكبة المتطلّبات المعرفية والتقانية، والتفاعل الإيجابيّ مع الثورة المعرفية المتسارعة، علاوة عن أنها من أهمّ عوامل التقارب والتحاور بين الشعوب المسلمة وغيرها، وهذا كلّه من علائم قوّتها وكفاءتها لأن تكون لغة مجتمع معرفة، فإن اللغة بعامّة تسير قوة وضعفًا مع مسار مجتمع المعرفة، ولا سبيل إلى مجتمع معرفة مؤثّر من دون لغة مؤثّرة؛ لغة تستوعب العلم، وتنتجه، وتسهّل استخدامه، وتدفع إلى الإبداع والابتكار.

ونستجيد في هذا المقام قول إبراهيم اليازجي (al-Yazaji, 2021, p. 24): "اللغة بأهلها؛ تشبّ بشبابهم، وتهرم بهرمهم، وإنما هي عبارة عمّا يتداولونه بينهم، لا تعدو ألسنتهم ما في خواطرهم، ولا تمثّل ألفاظهم إلاّ صور ما في أذهانهم... فإن كان ثمّة هرم؛ فإنما هو في الأمة لا في اللغة؛ لأنّ ما عرض لها من الهجر والإهمال غير لاصق بها، ولا يلحق بها وهنًا ولا عجزًا، وإنما هو عجز في ألسنة الأمّة ومداركها، وتأخّر في أحوالها واستعدادها، ولو صادفت من أهلها البقاء على عهد أسلافهم من السّعي في سبل الحضارة وتوسيع نطاق العلم؛ لم تقصّر عن مشايعتهم في كلّ ما فاتهم من الأطوار، حتى تبلغ بهم إلى مجاراة العصر الحاليّ".

REFERENCES

al-Qur'an al-Karim.

'Abd al-Abbas, F. (2021). al-Lughah al-'Arabiyyah wa-Ishkaliyyat al-Huwiyyah. *Humanitarian and Natural Sciences Journal*. *2*(11).

'Abd al-Tawab, A., 'Abd al-Muti, A. & Shakir, K. (2015). al-Jami'ah wa-Dawruha at-Tanmawi fi Mujtama' al-Ma'rifah. *The Scientific Journal of the Faculty of Education*. *31*(2).

Ahmad, I. (2006). *Ta'allum al-Lughah al-'Arabiyyah 'Abr al-Shabakah al-'Alamiyyah*. Kuala Lumpur: IIUM Press.

Ahrashaw, al-Ghali. (2007). al-Bahth al-'Ilm wa Mujtama' al-Ma'rifah fi al-Maghrib. *Journal of Educational Sciences*. *33*.

Bani Thiyab, M. (2014). al-Lughah al-'Ilmiyyah bayn al-Ta'rib wa al-Ta'lif. *Journal of Linguistic and Literary Studies*. *5*(1).

Faruqi, Y. M. (2006). Contributions of Islamic Scholars to the Scientific Enterprise. *International Education Journal*. *7*(4).

al-Faysal, K. (2018). al-Bahth al-'Ilm al-'Arabi: Waqi'uh wa Tahadiyyatuh wa Afaquh. *al-Taqrir al-'Arabi al-'Ashir li al-Tanmiyyah al-Thaqafiyyah: al-Ibtikar al-Indithar*. Bayrut: Arabic Thought Foundation.

al-Ghatami, S. (2015). Waqi' Istikhdam al-Lughah fi Saltanati Oman wa Atharuh fi Ta'limiha wa Ta'allumiha. The 4th Conference of Arabic Language, Dubai.

H. Osman, R., Hamawiya, A. & Brioua, N. (2022). Tajribah al-Jami'ah al-Islamiyyah al-'Alamiyyah bi Maliziyya fi Ta'lim al-'Arabiyyah li al-Natiqin bi Ghayriha min Khilal al-Ta'lim al-Shabaki: Dirasat Maydaniyyah Wasfiyyah. *Ansaq Journal*. *3*(2).

Mushrif, A. (2019). *al-Isti'mar ma bayna Sina'at Wahm al-Nukhab wa al-Ta'lim bidun Tathqif*. al-Jazeera.net. Retrieved 22 September 2022 from https://www.aljazeera.net/blogs/2019/7/16/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1-%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D9%88%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AE%D8%A8.

Qasim, R. Z. (2013). al-Lughah al-'Arabiyyah min al-Taraju' ila al-Tamkin. *Arab Future Journal*. *413*.

Renan, E. (1863). *Histoire Générale et Système Comparé des Langues Sémitiques*. 3rd ed. Paris: Impr. Impériale.

al-Sayyid, A. M. (2018). al-Bahth al-'Ilm fi al-Watan al-'Arabi: al-Waqi' wa Muqtarahat al-Tatwir. *International Journal of Research in Educational Sciences*. *1*(2).

Shakir, M. (2005). *Abatil wa Asmar*. al-Qahirah: al-Khanji Library.

Siddiq, M. al-Salih. (2009). *al-'Arabiyyah Lughah al-'Ilm wa al-Hadarah*. al-Qahirah: Diwan al-Matbu'at al-Jami'iyyah.

al-Ṭarabulsi, M. (1984). *Dawr al-Uslubiyyah al-Tatbiqiyyah fi Wasf Nizam al-Lughah. Multaqa Ibn Manzhur.* Tunis: al-Dar al-Tunisiyyah.

Trilling, B. & Fadel, C. (2009). *21st Century Skills*. USA: Jossey-Bass.

al-'Uliyyan, N. Q. (2019). Istikhdam al-Tiqniyyah al-Hadithah fi al-'Amaliyyah al-Ta'limiyyah. *Journal of Educational & Humanitarian Sciences*. *42*.

United Nations Development Programme & Mohammed Bin Rashid Al Maktoum Foundation. (2009). *Arab Knowledge Report 2009: Towards Productive Intercommunication for Knowledge*. Dubai: Al-Ghurair House.

United Nations Development Programme. (2003). *Arab Human Development Report 2003: Building a Knowledge Society*. New York: United Nations Development Programme.

United Nations Educational, Scientific & Cultural Organization. (2019). *Bilding Knowledge Societies in the Arab Region: Arabic Language as a Gateway to Knowledge.* Paris: United Nations Educational, Scientific & Cultural Organization.

Wa'li, B. (2019). Azmah al-Lughah al-'Arabiyyah: al-Asbab, al-Mazhahir wa Subul al-Tajawuz. *Arab Future Journal*. *481*.

Wikipedia. (n.d.). *Information Technology*. Wikipedia. Retrieved 21 September 2022 from https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%86%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%AA.

Wikipedia. (n.d.). *Knowledge Society*. Wikipedia. Retrieved 20 September 2022 from https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%B9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9.

al-Yazaji. I. (2021). *al-Lughah wa al-ʻAsr: al-Taʻrib*. Tahqiq A. H. Ahmad. Bayrut: Dar al-Kutub al-ʻIlmiyyah.